حرب الثلاثين عام (١٦١٨- ١٦٤٨)

قراءة في الأسباب والنتائج

War of Thirty Years 1618-16148

Reading in Reasons and Result

د.عمـــــــار شـاكر الـــدوري
جـــامعة تكريت ـ كلية الآداب

د.حارث عبد الرحمن التكريتي
جامعة تكريت ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

Dr. Ammar Shaker AL-Douri
University of Tikrit – College of Arts

Dr.Harith AbduRahman AL-Tikrity
University of Tikrit College of Education

History Department

الملخص باللغة العربية

تعد حرب الثلاثين عام احد الحروب الدينية التي اندلعت في النصف الأول من القرن السابع عشر للمدة ١٦١٨–١٦٤٨ ، وكان وازعها الأساس ديني إلا أن الغايات الخفية كانت أكثر من ذلك ، فنرى أطراف تتصارع من أجل الأموال وأخرى للسيطرة على أراض جديدة وأخرى على مصالح سياسية .

يمكن القول أن فشل صلح اوغسبرغ عام ١٥٥٥م، في التوصل إلى حل جذري للمشاكل الدينية التي اندلعت بعد حركة الإصلاح الديني ، هو أحد الأسباب في قيام الحرب التي شملت الأراضي الأوروبية بصورة تدريجية حسب المصالح، إضافة إلى الأسباب الأخرى المتمثلة بالعامل السياسي والاقتصادي.

مرت الحرب بمرحلة تمهيدية وثلاث مراحل حاسمة . تعود بداياتها إلى سنة ١٦١٨ واستمرت حتى عام ١٦٢١ وقد تزعمت بوهيميا ذلك الدور، وقد بدأت المرحلة الأولى ١٦٢٥–١٦٣٠ وتزعم هذه المرحلة الدنمارك . أما المرحلة الثانية فقد قادتها السويد وامتدت ١٦٣٠–١٦٣٥. وفي المرحلة الثالثة والأخيرة اشتركت فيها فرنسا والسويد وامتدت ١٦٣٥ – ١٦٤٨. وانتهت تلك الحرب بمعاهدة وستيفاليا التي عقدت عام ١٦٤٨ . بعد توصل الجميع إلى عدم جدوى العمليات الحربية.

ISSN : 1813-6798

مجلة للدراسات الانسانية محكمة متخصصة

تصدر عن كلية التربية / جامعة سامراء

الملخص باللغة الانكليزية

The war of thirty years is one of the religious wars which broke down in the first half of Seventeenth Century from the Period 1618-1648 . les main Characteristic is religion , but there were hidden ends more than that . There were those who conflict for money , others for Controlling on new land , another for Political interests.

The failure of Augsburg led to basic Solution for religious Problems which happened after religious agrarianism . Its was the reason behind all those war which exployed the European land and gradually according to interests.

The stages of war were as following ; i Introductory stage ii and three definitive stages which started 1618 till 1621 which Presided by Buhemiya . The first stage was from 1625-1630 is led by Denmark . The second stage was led by Sweden from 1630-1635. The last stage shared by France and Sweden Since 1635-1648 . and The war ended by Wistevali treaty which was made in 1648 after the diction of all to stop the martial processes .

المقدمة:

عاشت المجتمعات الأوروبية ولمدة طويلة من الزمن بعد قيام حركة الإصلاح الديني وما تبعها من انقسامات داخل تلك المجتمعات بصفة عامة وبداخل الدول التي شاركت بالحرب بصفة خاصة، حالة من عدم الاستقرار فرضت نفسها على تلك الشعوب، لذلك نرى أطراف كانت متنافرة سياسياً جمعها الوازع الديني وليس المذهبي وفق اعتبارات عديدة سوف نبينها في صفحات البحث، فبذلك كان الصراع الديني عاملاً حاسماً في قيادة تلك المجتمعات إلى أتون حرب كبيرة قادها زعماء وأباطرة أوروبا.

أن البحث في حرب الثلاثين عام (١٦١٨- ١٦٤٨) وتتبع أسباب قيامها ونتائجها على المجتمع الأوروبي بحاجة إلى دراسة منفردة لذلك جاء اختيار موضوع " **حرب الثلاثين عام قراءة في الأسباب والنتائج** "، ليكون بداية لدارسة تلك الحرب وتتبع التدخلات التي لحقت بها، ومن اجل تسليط الضوء على تلك الأسباب والنتائج وفهم مجريات الحرب تم تقسم البحث إلى مجموعة من الأدوار بحسب مشاركة الدول في تلك الأدوار.

الأوضاع السياسية في أوروبا قبيل اندلاع حرب الثلاثين عام:

لقد كانت حرب الثلاثين عاماً من أطول الحروب الأوروبية التي حدثت في النصف الأول من القرن السابع عشر، وكانت دوافعها سياسية إلا أن طابعها العام كان دينياً، ذلك أن معظم الاتجاهات الدينية التي انبثقت عن اللوثرية (أتباع مارتن لوثر)، كانت متفقة في عدائها للكنيسة الكاثوليكية على الرغم من كونها متباينة في أهدافها تبعاً للمصالح السياسية والقومية والاجتماعية[١].

لذلك تعد حرب الثلاثين عاماً نتيجة حتمية لحركة الإصلاح الديني الذي شمل معظم الدول الأوروبية، والتي حدثت بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية من جهة وبين أتباع الكنيسة البروتستانتية (لوثريين – كالفينيين – زونجليين) من جهة أخرى، وأشار الكثير من المؤرخين إلى أن السبب الحقيقي لاندلاع هذه الحرب هو فشل صلح اوغسبرغ عام ١٥٥٥م، والذي أنهى الحرب الدينية في المقاطعات الألمانية لمدة معينة، ويعود سبب فشل ذلك الصلح كونه لم يتمكن من التوفيق بين مطالب الكاثوليك والبروتستانت على حد السواء، إذ أن البابوية طالبت بالمحافظة على أملاكها في هذا المقاطعات، في حين يرى البروتستانت أحقيتهم في السيطرة على هذه الممتلكات مما جعله سبباً مباشراً في تذمر البابوية ممثلة الكاثوليك من تصرفات البروتستانت[٢]. فضلاً عن ذلك فقد منح الصلح الحق لكل دولة أن تقرر حكومتها الدين الذي تريده وتقرره لرعاياها وكان رئيس الدير أو رئيس الأساقفة في عدد من الدول يسن التعاليم الدينية للحكومة، فإذا توفي فهناك من يخلفه لكي يضمن بقاء العقيدة اللوثرية أو الكاثوليكية في الإقليم أو الدولة التابعة لها [٣].

كان صلح اوغسبرغ قد منح السلام لألمانيا، على الرغم من نقاط ضعفه الكثيرة مدة تزيد عن ستين عاماً ، وفي أثناء ذلك الوقت زادت أعداء الكلفنيين في غرب ألمانيا ومنطقة الراين، ولما شعروا أنهم مهددون من جانب اللوثريين والكاثوليك نظموا أنفسهم فيما بين عامي (١٦٠٣– ١٦٠٨)، في الاتحاد البروتستانتي[٤]، فاستغل البروتستانت الكالفينيين هدنة الصلح وعملوا على نشر مذهبهم في ألمانيا، فغدت المقاطعات الألمانية الشمالية بروتستانتية، ليس هذا فحسب بل تعدت الكالفينية إلى النمسا وبافاريا، هذا الأمر ولد حالة من الخوف لدى أتباع الكاثوليكية مما حذا بظهور نشاط كاثوليكي جديد تزعمه الجزويت اليسوعيين، طالب بعودة الكاثوليكية إلى ألمانيا، واتخذ الجزويت مركزاً لنشاطهم في كل من فيينا وميونخ ومنهما اخذوا يوسعون دائرة نشاطهم عن طريق فتح المدارس الكاثوليكية في ألمانيا، هذا الأمر مكنهم من إعادة الكثير من المقاطعات الألمانية إلى الكاثوليكية، الامر الذي أثار حفيظة البروتستانت في ألمانيا، ولمواجهة ذلك عملوا على أنشاء حلف فيما بينهم عام ١٦٠٨م سمي (بالاتحاد البروتستانتي) للدفاع عن مصالحهم المشتركة ضد الكاثوليك الذين بادروا في تأسيس اتحاداً مناهضاً لذلك عرف (بالحلف المقدس) عام ١٦٠٩م من اجل محاربة أتباع الاتحاد البروتستانتي، والملاحظ على هذين الحلفين أن الحلف

المقدس الذي تزعمه دوق بافاريا مكسمليان كان أقوى من الاتحاد البروتستانتي وذلك لأن اللوثريين والكالفينيين لم يستطيعوا توحيد جهودهما في اتحاد قوي مشترك ضد الكاثوليك[٥].

تعد الخلافات الدينية المذهبية، التي أثارتها الإصلاحات الدينية السابقة، واحدة من الأسباب الرئيسة في حرب الثلاثين عاماً تلك الحرب التي كانت معقدة للغاية وكان اندلاعها ليس فقط بسبب الخلافات الدينية إذ يمكن إضافة سبب آخر متعلق بالمسائل الدستورية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة وبقدر أكثر من الاهداف الاستراتيجية للقوى الأوروبية الكبيرة. ومع ذلك، يمكن الاطمئنان إلى القول أن كلاً من المسائل الدستورية على كل من السلطة الخاصة الداخلية للإمبراطور والصراع الأوربي الواسع على السلطة إلى ما بعد الإمبراطورية كان يرتبط بقوة مع التوترات الطائفية التي نشأت نتيجة الإصلاح. ويمكن وصف الارتباط بأنه أمر مشروط، مع الاصطدامات الدينية التي تشكل شرطاً ضرورياً لاندلاع القتال في عام ١٦١٨. وكانت تلك الخلافات الدينية الموضوعية التي كشفت أوجه القصور في الدستور الإمبراطوري من حيث أن الشؤون الدينية التي أدت إلى حرب الثلاثين عاما جعلت من الممكن بالنسبة لاسبانيا والدنمارك والسويد وفرنسا التدخل في النزاع[٦].

عاشت أوروبا ابتداءً منذ عام ١٦١٨ أزمة خطيرة امتدت لمدة ثلاثين عاماً، شاركت فيها العديد من الدول الأوروبية، بدأت هذه الأزمة على شكل حرباً دينية قام بها البروتستانت في بوهيميا ضد الإمبراطور الكاثوليكي والأسرة الحاكمة النمساوية من اجل تحويل الإمبراطورية الألمانية (الإمبراطورية الرومانية المقدسة) إلى الإمبراطورية الانتخابية الاتحادية إلى دولة مركزية، تشبه في مثيلتها فرنسا، كانت الحرب في بدايتها حرباً أهلية في ممتلكات الأسرة النمساوية تحولت بالتدريج إلى حرباً ألمانية ثم شيئاً فشيئاً إلى حرب أوروبية عامة، الأمر الذي اظهر إلى السطح مسألة غاية في الأهمية ألا وهي الحرية الدينية والتنظيم السياسي للإمبراطورية وحصول الأقاليم التابعة إليها على الاستقلال، فضلا عن ذلك تعد هذه الحرب مرحلة جديد من مراحل التنافس بين فرنسا وأسرة هابسبورغ[٧] مع فرعيها في كل من النمسا واسبانيا، وإذا كانت معاهدات وستفاليا قد أوجدت حلا لجميع المشكلات الدينية في الإمبراطورية، فان الحرب بين فرنسا وأسرة هابسبورغ قد استمرت لمدة إحدى عشر سنة وانتهت بانتصار جديد لفرنسا بعد توقيع صلح البرانس الذي أعطى لفرنسا روسيليون وارتوا[٨].

مثّلتْ حرب الثلاثون عام (١٦١٨–١٦٤٨) مرحلة النزاعَ الأكثر دماراً الذي شهدته أوروبا خلال تلك المدة، والتي كشفت العلاقة بين الدول الأوروبيةِ الكبيرة والصغيرة، فضلاً عن تفاعلِ المجتمعات الأوروبية في هذه المرحلة الحاسمة من التأريخِ الأوروبي، من حيث الاشتراك في الحرب إلى جانب فئة معينة من الدول على حساب الجانب الأخر من الدول[٩].

أن ما فعله الدستور الإمبراطوري في المدة التي سبقت ١٦١٨ تبدو وكأنها الكيفية التي يفترض العمل على أساسها ؟ والتي تتكون أساسا من القانون العرفي وعدة قوانين مكتوبة تسمى (القوانين

الأساسية)، التي تغطي مختلف الجوانب الدستورية، والذي ادى الى أنشاء الدستور الذي قد تم تعديله بشكل حاسم في عام ١٥٥٥ بموجب صلح اوغسبيرغ . وهو ما كان يسمى بسلام اوغسبورغ وهو أول محاولة للتوفيق بين الجميع دينياً، ما بين الدستور الكاثوليكي مع الدستور اللوثري المتصاعد في أراضي الإمبراطورية، على الرغم من أن اللوثريين أصبحوا من الخارجين عن القانون في نظام الإمبراطورية منذ عام ١٥٢١، كمحاولة للحفاظ على وحدة الإمبراطورية، إلا أن الحركة اللوثرية اكتسبت المزيد من القوة وسرعان ما اعتنقها أمراء الإمبراطورية والناخبون[١٠].

الدور البوهيمي ١٦١٨– ١٦٢٥:

خلف الملك ماتياس هابسبورغ[١١] **"Matthias Habsburg"** أخاه الملك رودولف الثاني[١٢] **"Rodolfo II"** على عرش بوهيميا عام ١٦١٢م، ولم يكن لهذا الملك وريث مباشر للعرش لذلك استمرت هذه القضية الشاغل الأساسي للمملكة. وعلى هذا الأساس تم الاتفاق بين جميع افراد العائلة المالكة وبين ملك اسبانيا على تسليم العرش إلى فرديناند الثاني[١٣] **"Ferdinand II"** ابن عم ماتياس ورودولف، وفي عام ١٦١٧م استطاع الإمبراطور ماتياس الحصول على الاعتراف بفرديناند خلفاً له من مجالس التاج البوهيمي، وكان فرديناند كاثوليكياً متعصباً الأمر الذي أثار حفيظة البروتستانت التشيكيين الذين كانوا يخشون على المكاسب التي حصلوا عليها سابقاً ولاسيما الخاصة بحرية اختيار الديانة أو المذهب، وقد حاول مستشار الملك (لوبكوفيتش) أن يجمع كل السلطات بيد الملك ووزرائه على حساب مجالس التاج البوهيمي، إذ كانت هذه المجالس ذات أكثرية بروتستانتية تشيكية، إلا أن المشكلة الجديدة التي ظهرت، هو قيام وزراء ماتياس بتدمير المعابد التابعة للبروتستانت التشيكيين الأمر الذي أدى إلى سجن عدد من النبلاء وإرسالهم إلى بوهيميا، وفي آذار عام ١٦١٨م طالب البروتستانت دعوة مجالسهم للاجتماع من اجل تقديم التماس إلى الملك ماتياس لإطلاق سراح السجناء إلا أن مستشار الملك رفض ذلك وعد هذه المجالس غير قانونية الأمر الذي جعل بعض أعضاء هذه المجالس إلى استغلال هذه الفرصة لإعلان القطيعة مع آل هابسبورغ بغية إنقاذ حرياتهم السياسية والدينية المهددة[١٤].

لذلك صدر الجواب الملكي من قبل النواب الذين يحكمون باسم الملك الأمر الذي دفعهم إلى دخول قصر (هرادشين) في ٢٣ أيار وإلقاء النواب من نوافذ القصر والمعروفة باسم **"Defenestration of Prague"**، وعلى الرغم من ذلك فان الثائرون لم يلقوا باللوم على ماتياس مباشرةً وإنما على نائبيه في براغ، وأعلنوا أنهما سقطا من نوافذ القصر، واستعاضوا عنهم بمجلس أدارة مكون من (٣٠) عضواً، (١٠) أعضاء لكل طبقة من طبقات المملكة (النبلاء – الفرسان – المدن)، إلا أن مجلس الإدارة سرعان ما اصطدم بمشاكل كبيرة تمثلت في تمرد الفرسان والمدن ونقص الأموال فضلاً عن نقص الجنود، كما أن الإمبراطور بدأ عاجزاً ومتردداً وتجنب كل إجراء من شأنه أن يجعل التسوية مستحيلة لذلك قرر الإمبراطور فرديناند أن يحل محل ماتياس وجهز الجنود ودخل بوهيميا، وقد جرت بعض محاولات

الإصلاح بين فيينا وبراغ إلا أن وفاة ماتياس في ٢٠ آذار ١٦٢٠م، جعل من هذه المحاولات تنتهي بالفشل والقطيعة[١٥].

في هذه الأثناء رفض مجلس بوهيميا الاعتراف بانتخابات عام ١٦١٧م، وأعلنت إسقاط الإمبراطور فرديناند وبقى العرش شاغراً، وفي ٢٦ أب ١٦٢٠م انتخب مجلس بوهيميا الناخب البلاتيني فريدريك الخامس الأمير الكالفني وزعيم الاتحاد الإنجيلي، وتم انتخاب فرديناند شتيريا إمبراطوراً من قبل مجلس فرانكفورت تحت اسم فرديناند الثاني، وبالتالي كانت الثورة التشيكية حادثاً بسيطاً اهتمت به الإمبراطورية باجمعها فضلاً عن الدول المجاورة لها لتبدأ حرب الثلاثين عام[١٦].

كان الاعتداء على نواب الإمبراطور فاتحة لحرب كبيرة بين الطرفين، إذ سير الإمبراطور فرديناند الثاني قواته لقمع الثورة، ولم يكن في وسع الاتحاد البروتستانتي النجاح في صد هذه القوات إلا بدعم خارجي، لذلك اتجهوا إلى فريدريك حاكم ولاية البلاتين وهو احد زعماء البروتستانت الكالفينيين فلبى فريدريك دعوتهم وتزعم قواتهم وقبل بالتاج البوهيمي لذلك لقب بفريدريك الخامس واستقدم قوات من الاتحاد البروتستانتي لتحارب في صفوف القوات البوهيمية، أما الإمبراطور فرديناند الثاني فقد تلقى دعماً مالياً من البابا فضلاً عن قوات اسبانية من ميلان وقوات كاثوليكية من بافاريا وبذلك جمع قوات قدرت بنحو (٥٠) ألف مقاتل اجتاح من خلالها بوهيميا، إذ التقى الجيشان في موقعة (الجبل الأبيض) **"White Hill"** بالقرب من براغ، لم تستطع قوات فريدريك الخامس الصمود بوجه قوات فرديناند الثاني، الأمر الذي جعل الجيش البروتستانتي يواجه مصيراً سيئاً دفع فريدريك الخامس[١٧] **"Friedrich V"** للهرب من المعركة لذلك سمي (ملك الشتاء)، وذلك لأنه لم يستمتع بتاج بوهيميا إلا في الشتاء، هذا الانتصار مكن فرديناند الثاني من نفي عدد كبير من أمراء البروتستانت فضلاً عن استخدام البطش والتنكيل لإرغام المواطنين في بوهيميا على اعتناق المذهب الكاثوليكي، فترتب على ذلك هجرة أعداد كبيرة من الأسر البروتستانتية وحل محلهم اسر يسوعية فأنشأوا فيها إرسالياتهم التنصيرية والمدارس[١٨] ، وهكذا بدأت كتلكة بوهيميا من جديد وأخمدت أنفاس البروتستانت في النمسا عندما ثار أهلها انتصاراً لبوهيميا وأدت الهزيمة إلى إخلال الاتحاد البروتستانتي في عام ١٦٢١م، وانتقال زعامة البروتستانت إلى ملك الدنمارك لينتهي بذلك الدور الأول أو الدور البوهيمي البلاتيني من حرب الثلاثين عام[١٩] .

الدور الدنماركي ١٦٢٥- ١٦٣٠:

أعلن الإمبراطور فرديناند الثاني في ٣٠ نيسان١٦٢٠م أن فريدريك الخامس مغتصب للعرش، وأصدر إليه الأمر بمغادرة الإمبراطورية في أول حزيران من العام ذاته، وإلا عد خارجاً على القانون ويتم مصادرة أملاكه. وعرض الإمبراطور أن يضمن عدم تعرض الولايات البروتستانتية الألمانية للهجوم، إذا هي قطعت مثل هذا العهد للولايات الكاثوليكية. وفي معاهدة أولم المعقودة في ٣ حزيران ١٦٢٠م، تم

قبول هذا العرض لذلك احتج الأمراء البروتستانت واكدوا بأن فريدريك الخامس عرض حريتهم للأخطار بتحديه للإمبراطور فرديناند الثاني، هذا الأمر جعل من الناخب أمير سكسونيا جون جورج الانحياز بولايته إلى الإمبراطور الكاثوليكي. وفي أب عبر جيش إمبراطوري قوامه (٢٥) ألف رجل النمسا إلى بوهيميا بقيادة جوهان تسركليس كونت تللي[٢٠] **"Johann Tserclaes, Count of Tilly"**، التقى هذا الجيش بالبوهيمين وانتصر عليهم في ٨ تشرين الثاني وفر فريدريك الخامس وزوجته اليزابث وحاشيتهما إلى سيليزيا. وعجز الملك والملكة عن جمع الجيش هناك، فالتمسا مأوى في براند ببرج الكلفنية. وفي اليوم التالي للمعركة أحتل مكسيمليان الأول[٢١] **"Maximilian I"** أمير بافاريا براج، وسرعان ما أعيدت الكاثوليكية، وأعيد وضع الصور في الكنائس، ووضع التعليم تحت إشراف الكاثوليك ولم يسمح إلا للديانة الكاثوليكية والديانة اليهودية، وتم ألغاء العشاء الرباني بالخبز وبالنبيذ على حد سواء، وكان يوم القديس جون من قبل عيداً وطنياً فجعل يوم حداد تغلق فيه كل الكنائس، وقبض على (٣٠) رجلاً من المعرضين، أعدم منهم (٢٧) رجلاً[٢٢].

في هذه الأثناء كان مكسيمليان أمير بافاريا يحقق انتصارات على الكالفنيين في بوهيميا، فستغل الأمير سبينولا ذلك وقاد قوة كبيرة من الفلاندرز للاستيلاء على البلاتينات، لذلك أعد بعض صغار الأمراء البروتستانت قوة لمقاومته وأنضم الى جانبهم فريدريك الخامس، تاركاً زوجته في لاهاي. الامر الذي طالب باستدعاء الأمير سبينولا إلى الأرضي المنخفضة، عند ذلك تجددت الحرب بين هولندة وأسبانيا، فحل محله الجنرال تللي، ووكان من نتائج ذلك هزيمة للاتحاد البروتستانتي عام ١٦٢٢م والاستيلاء على هيدلبرج، فضلاً عن أعمل سلب ونهب مكتبة الجامعة التي نقلت إلى روما كهدية من مكسيمليان البافاري إلى البابا كريكوري الخامس عشر. ولما عاد مكسيمليان منتصراً منح البلاتينات ميزتها الانتخابية، لقاء ما أدى للإمبراطور من خدمات، وأصبح للولايات الكاثوليكية الآن الأغلبية في مجلس الدايت.

أن النصر الكاثوليكي وشموله أقلق بال الملوك الكاثوليك والبروتستانت على حد سواء، فإن تزايد هيبة فرديناند الثاني وسلطانه كان يهدد حريات الأمراء الألمان، كما أن مكسيمليان قلق حين وجد أنه قد سمح له بالاستيلاء على البلاتينات وبافار مع بقاء تبعيتهما للإمبراطور. وتعاطف البابا أوربان الثامن[٢٣]**"Urban VIII"** مع وجهة النظر الفرنسية القائلة "**بأن آل هبسبرج أصبحوا من القوة إذ باتوا خطراً على حرية البابوية**" وأغضى عما عمد إليه الكاردينال أرماند جان دو ريشليو[٢٤] **"Armand Jean de Richelieu"** من فرض ضرائب على الكاثوليك في فرنسا لمساعدة الألمان البروتستانت وعن مساعدته بعد ذلك لملك سويدي ضد إمبراطور كاثوليكي. وفي عام ١٦٢٤م، حول الكاردينال المنظر السياسي فجأة، بسلسلة متعاقبة من الضربات الدبلوماسية، ففي ١٠ حزيران وقع تحالفاً مع هولندا البروتستانتية ضد الفلاندرز وأسبانيا الكاثوليكيتين، وفي ١٥ حزيران ضم إليه السويد والدنمارك، وفي ١١

تموز أقنع سافوى والبندقية بالانضمام إليه في محاولة لقطع خط الإمدادات والقوات الأسبانية النمساوية عبر ممرات الفالتللين في جبال الألب الإيطالية – السويسرية. وفي عام ١٦٢٥ جاء ملك الدنمارك كرستيان الرابع[٢٥] "**Christian IV**" بقوات قدرت بنحو (٢٠) ألف رجلاً للانضمام إلى قوة مؤلفة من (٤) آلاف رجلاً في سكسونيا السفلى. وتولى الخوف مكسيمليان، فحث الإمبراطور على إرسال نجدة إلى الجنرال تللي الذي تناقص عدد جيشه من (١٨) ألفا إلى (١٠) آلاف بسبب سوء الاحوال الجوية والجوع والمرض، استجاب الإمبراطور فرديناند الثاني لذلك واستدعى الأمير البرت وينسلاس فون فلنشتين "**Albert Wencelas Von Waledstein**" المشهور باسم فلنشتين "**Wallenstein**"، أمير فريدلاند "**Friedland**" من بوهيميا. وفي ١٦٢٤ عندما تحكم الفرنسيون والبنادقة في ممرات فالتللين، ولم يعد في مقدور الجنود والمؤن الأسبانية الوصول من إيطاليا إلى النمسا، عرض الأمير فالنشتين تجنيد (٥٠) ألف رجلاً ووضعهم في خدمة الإمبراطور. فتردد فرديناند لما يعلم من رغبة الأمير فالنشتين بالقوة والسلطة، تعالت صيحات الجنرال تللي في عام ١٦٢٥ يطلب المدد فكلف الإمبراطور فرديناند الثاني الأمير فالنشتين وفي سرعة مذهلة سار هذا الجيش إلى سكسونيا السفلى[٢٦].

اشتدت صعوبة المقاتلين البروتستانت في ألمانيا بعد معركة التل الأبيض، الأمر الذي دفعهم إلى طلب العون من ملك الدنمارك كريستيان الرابع الذي استجاب لطلبهم في عام ١٦٢٥، وفي أعقاب فشل الثورات البوهيمية تزعم كريستان الرابع ملك الدنمارك البروتستانت، فأقام تحالفات مع ملك انكلترا وأمراء الشمال، وتلقى أيضاً وعوداً من الوزير الفرنسي رشيليو وكان له أهداف سياسية إلى جانب تعصبه المذهبي[٢٧].

وفي حقيقة الأمر لم يكن اهتمام الملك بالمسألة الدينية هي التي دفعته إلى تلبية طلبهم بقدر ما كان مدفوعاً في ذلك برغبته في الحصول على بعض المكاسب المادية لأبنائه في شمال ألمانيا على حساب الكاثوليك، في هذه الأثناء طرأ تغير هام في التوجيه الحربي للقوات الكاثوليكية إذ أن الانتصارات المبكرة لحركة الإصلاح الكاثوليكي في بوهيميا والبلاتين لم تحرزها القوات الإمبراطورية بقيادة فرديناند الثاني وإنما أحرزتها الفرق الألمانية بقيادة مكسمليان صاحب بافاريا – ولم يكن اعتماد الإمبراطور بهذه الصورة على جار يحميه – الأمر الذي يريحه ويرضيه، فاتجهت سياسته إلى جيش قوي يخضع لقيادته، لذلك رحب الإمبراطور فرديناند بالفكرة التي عرضها عليه الأمير البوهيمي فلنشتين التي كانت تهدف إلى تزويد الإمبراطور بجيش يقوم على خدمته ويتولى الأمير فلنشتين الإنفاق عليه على أن يحظى الجيش بالغنائم المادية، في حين يحتفظ الإمبراطور بذخائر الحرب .

كان الأمير فلنشتين أحد نبلاء بوهيميا وذو أصول بروتستانتية، إلا انه تحول إلى الكاثوليكية وقدم خدماته للإمبراطور فكان قائداً حربياً ماهراً وقد انفرد بين القادة الألمان بعبقريته ونبوغه، إذ جمع جيشاً من المرتزقة واستطاع من كسب ولاءه من خلال ما يجزل عليه من العطاء وما كان يوقع من عقوبات صارمة

على الخارجين من رجاله وكانت طموحات الأمير فلنشتين عظيمة في بلوغ عرش ألمانيا، على العموم هزم جيش الملك الدنماركي هزيمة منكرة على يد القائد تللي في واقعة لوتر "**Lutter**" في ثورنجيا "**Thuringia**" ، عام ١٦٢٦ وانتصر الجيش الإمبراطوري تحت قيادة الأمير فلشتين في عدد كبير من المواقع تمكن على أثرها من احتلال مكلنبرج "**Mecklenburg**" ثم بدأ مهاجمة الأراضي الدنماركية فستولى على هلشتين "**Holstein**" و شلزويج "**Schleswig**" وجتلند "**Jutland**"، تلك الانتصارات جعلت من القضية البروتستانتية من جديد تهوي إلى الأسفل، ليس هذا فحسب بل عملت تلك الانتصارات على أثارة الحقد على الأمير فلنشتين من نبلاء الإمارات الألمانية بعد إعادة للإمبراطورية سلطانها، إذ حقد عليه الأمراء على اختلافهم من البروتستانت والكاثوليك على حد السواء، وبدأ حقدهم عليه عندما منحه الإمبراطور فرديناند الثاني دوقية مكلنبرج وبدأ في إظهار أهدافه الخاصة في تقوية ألمانيا بحرياً والسيطرة على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق مما جعل الدنمارك والسويد تتناسيان خلافاتهما وتتحدان لمقاومة الأمير فلنشتين وقواته[٢٨].

هذا الأمر دفع القوات الكاثوليكية وملك الدنمارك إلى عقد صلح في لوبيك **"Lubeck"** عام ١٦٢٩ اشترط فيه على أن تُرد إلى الدنمارك أملاكها بعد أن اخذ عليها عهداً بإلا تتدخل مرة أخرى في مشاكل ألمانيا الداخلية. في هذه الأثناء حصل تطوراً خطيراً على الساحة الداخلية في ألمانيا إذ اتخذ الإمبراطور فرديناند الثاني قراراً بعزل الأمير فلنشتين من منصبه وطرده من خدمته ومما لاشك فيه كان للأمراء الألمان دوراً مهماً في ذلك الأمر ولاسيما من قبل مكسمليان منتخب بافاريا، الذي كان يخشى على نفوذ الحكام الحالمان بصفة عامة ونفوذه بصفة خاصة، وقد أصر مكسمليان على عزل الأمير فلنشتين في اجتماع مجلس الدايت في راتشبون "**Ratisbon**" وقد دهش الألمان عندما أجابه الإمبراطور فرديناند الثاني على طلبه في عزل الأمير فلنشتين، وبذلك فقدته الإمبراطورية في وقت كانت بأمس الحاجة إلى خدماته[٢٩].

انتصر الأمير فالنشين على الأمير كراف ارنست فون مانسفيلد [٣٠] **" Graf Ernst Von Mansfield "** في دسو، وهزم الأمير تللي الملك كريستيان الرابع في واقعة لوتر عام ١٦٢٦، ووجد كريستيان الرابع جيشه الذي يتناقص عدده عاجزاً متمرداً، وأقصم عرى التحالف الكبير الذي كان الكاردينال ريشليو قد شكله نتيجة لحقد جوستاف أدولف على كريستيان الرابع، فكان على الكاردينال ريشليو أن يسحب قواته من ممرات فالتللين، التي عادت الآن مفتوحة أمام النمسا وأسبانيا، وتقدم الأمير فالنشين الذي ازداد جيشه عدداً يوماً بعد يوم، إلى براندبرج وأرغم ناخبها جورج وليم على إعلان الولاء للإمبراطور، واندفع نحو دوقية ملك الدنمارك كريستيان وهي هولستين، وتيسر له القضاء على كل مقاومة في غير عناء. وفي نهاية عام ١٦٢٧ كانت الأجزاء الداخلية من الدنمارك في قبضته.

ولم ينظر الأمراء الألمان بعين الرضا إلى انتصارات فالنشتين. ذلك أنهم رأوا أنه بينما نقص جيش العصبة الكاثوليكية بقيادة مكسيمليان البافاري وكونت تللي إلى نحو (٢٠) ألف رجل، فإن الأمير فالنشتين تولى أمرة قوات بلغ عددها نحو (١٤٠) ألفاً، كما أنه لا يعترف بأية مسؤولية إلا أمام الإمبراطور وحده ومادام الإمبراطور مطمئناً إلى وجود جيشه من خلفه، ففي مقدوره أن يحد من حريات الأمراء. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأمير فالنشتين ربما كانت تراوده فكرة القضاء على الملكيات الإقطاعية وتوحيد ألمانيا بأسرها في دولة قوية واحدة. الا ان الصعوبات التي واجهته كانت حداً فاصلاً في تحقيق هذه الفكرة، ولاسيما وان الوعي في مسألة تحقيق الوحدة لألمانيا لم يكن في المستوى المطلوب لدى ابناء المانيا في تلك المدة من تاريخ المانيا من جهة واطماع الامراء في التصارع فيما بينهم من جهة اخرى.

ولدى اجتماع الناخبين في الإمبراطورية بين عامي (١٦٢٧– ١٦٢٨)، تبادلوا الرأي فيما يراودهم من آمال وما يساورهم من مخاوف. ومال الناخبون الكاثوليك إلى تأييد الأمير فالنشتين، ثقة منهم بأنه سوف يقتلع البروتستانتية من جذورها ويقضي عليها في مهدها الأول. ولكن عندما أطاح فرديناند بدوق مكلنبرج البروتستانتي، ونقل الدوقية إلى فالنشتين ١١ آذار ١٦٢٨ فإن الأمراء الكاثوليك أنفسهم تولاهم الخوف من استئثار الإمبراطور بسلطة خلع الأمراء وتعيينهم وفق مشيئته هو وحده، لذلك لم يكن أمام الأمراء إلا ورقة واحدة يقومون بها أمام الإمبراطور فرديناند الثاني، فإنه كان على وشك أن يطلب إليهم ضمان اعتلاء ابنه العرش الإمبراطوري. وفي ٢٨ آذار أبلغوه أنه مادامت جيوشه تحت إمرة الأمير فالنشتين، فإنهم لن يقدموا ضماناً مثل هذا، كما حذره مكسيمليان البافاري، من أنه إذا لم ينتقص من جيش الأمير فالنشتين ومن سلطاته وقوته، فلابد يوماً من أن يملي هذا القائد سياسة الإمبراطورية[٣١].

لاحظ الأمير فالنشتين هذا التحذير، لذلك شرع في إجراء مفاوضات سرية مع ملك الدنمارك كريستيان الرابع، انتهت بصلح لوبيك **"Lubeck"** ٢٢ أيار ١٦٢٩. ولدهشة أوروبا كلها، أعاد إلى ملك الدنمارك جتلند وشلزويج والقطاع الملكي من هولشتين. ولم يفرض تعويضاً، بل أنه طلب فقط تخلي كريستيان الرابع عن أسقفياته الألمانية وسلطته العسكرية، وقد دفعه ذلك الكرم الخوف من ائتلاف الغرب ضد السيطرة الإمبراطورية على البلطيق والمضايق، ومن ناحية أخرى الاعتقاد بأن جوستاف أدولف كان يخطط لغزو ألمانيا، وأخيراً تأكد الأمير فالنشتين بأن القضية ستكون بينه وبين جوستاف أدولف لا كريستيان الرابع[٣٢].

وعلى العموم كان لهذا الصلح نتائج مهمة يمكن إيجازها بالشكل الآتي:

١. أن تترك الدنمارك النمسا وشأنها مع البروتستانت، فضلاً عن عدم التدخل في شؤون ألمانيا الداخلية.
٢. ترد إلى الدنمارك أملاكها التي تم الاستيلاء عليها أثناء الحرب .

٣. حصل تدفق إصلاحي كامل في ألمانيا، إذ زحفت العقيدة الكاثوليكية إلى البلاتينات وبوهيميا فضلاً عن الاتجاه صوب الشمال والولايات اللوثرية، وبذلك يجب أن تعاد جميع الأقاليم الكنسية التي تعلمنت تلقائياً إلى الكنيسة الكاثوليكية.

٤. أن الإرهاب الذي جسم على ألمانيا البروتستانتية جعل حركة الإصلاح الديني البروتستانتية بأسرها خانقة، بل وقد جعلها وكأنها لم تظهر بعد في هذه البلاد.

٥. أن الإمبراطور النمساوي اظهر رغبته في خلق حكومة ملكية هابسبرجية تحكم أوروبا بأسرها، والاحتفاظ بالساحل وإخراج ألمانيا إلى البحار وبحث أمكانية تأسيس شركة تجارية اسبانية – ألمانية تنافس الدنماركيين والهولنديين والانكليز، لذلك انعم على الأمير فالنشتين لقب (رنان) أي أميرال البحر المحيط وبحر البلطيق(٣٣).

أن مستشاري الإمبراطورية من الجزويت طالما ناشدوه الاستعانة بقوة الأمير فالنشتين الجديدة وبقرار إمبراطوري، لتسترد الكنيسة الكاثوليكية بقدر الإمكان، أملاكها ومواردها التي اقتطعت منها منذ بداية الإصلاح الديني، أو على الأقل منذ عام ١٥٥٢م، ورأى الإمبراطور فرديناند الثاني الشديد التمسك بعقيدته في هذا المطلب شيئاً من العدالة، ولكنه لم يستطع تقدير كل تلك صعوباته العملية، فقد بيعت منذ عام ١٥٥٢م، ممتلكات كثيرة التي كانت ملكاً للكنيسة، ودفع ملاكها الحاليون ثمنها. ولتنفيذ هذا، أي استرداد لكنيسة لأملاكها، لابد من تجريد آلاف من الملاك من ممتلكاتهم، والمفروض أن يتم هذا عنوة، وقد تؤدي الفوضى الناتجة عن هذا بألمانيا إلى ثورة. وكان مكسميليان أمير بافاريا يوماً يحبذ هذه الفكرة، ولكنه الآن فزع لمداها ومضاعفاتها، وحث الإمبراطور على تأخيرها حتى يتم دراستها من قبل مجلس الدايت، اذ خشي الإمبراطور فرديناند الثاني أن يرفضها الدايت. وفي ٦ آذار ١٦٢٩ نشر قرار **(إعادة أملاك الكنيسة)**، وجاء فيه "**لم يبقَ أمامنا إلا أن نأخذ بيد الجماعة المظلومة، ونبعث بموظفينا ليطلبوا إلى الملاك الحاليين غير المفوضين قانوناً أن يعيدوا كل الأبرشيات والأسقفيات والأديرة، وسائر الممتلكات الكنسية التي صودرت منذ معاهدة باسو عام ١٥٥٢م**". كان هذا الإصلاح المضاد المقترن بالانتقام وكان كذلك تأكيداً للسلطة الإمبراطورية المطلقة(٣٤).

قوبل القرار باحتجاجات صارخة على نطاق واسع، ولكنه نفذ وحيثما وجدت أية محاولة لمقاومته استدعي جنود الأمير فالنشتين وأخمدوها في كل مكان باستثناء إقليم (مجد برج) الذي نجح في مقاومة حصار الأمير فالنشتين لها. وعادت مدن (أوغزبرغ، ورتنبرج، ودورتمند) وثلاثون بلدة صغيرة إلى أيدي الكاثوليك، وكذلك عاد إليهم خمس أسقفيات ومائة دير، ونظمت من جديد مئات الأبرشيات الكاثوليكية، ولما طبق المالكون قاعدة – الناس على دين ملوكهم – متطلبين من الرعايا أن يتقبلوا مذهب الحاكم، اضطر آلاف البروتستانت أن يرتدوا أو يهاجروا، فضلاً عن النفي، اذ نفي من أوغزبرغ وحدها (٨) آلاف شخص .

بعد أن استنفذ الإمبراطور فرديناند الثاني غرضه في استخدام الأمير فالنشتين في تنفيذ قرارته، ولم يجد أية قوات بروتستانتية في الميدان، فإنه لم يعد حريصاً على الاحتفاظ به فطلب إليه في أيار ١٦٣٠ أن يتخلى عن (٣٠) ألفاً من جنوده للخدمة في إيطاليا، فاعترض الأمير فالنشتين محتجاً بأن ملك السويد يخطط لغزو ألمانيا، فغلب أمره وأرسل (٣٠) ألف جندي إلى إيطاليا. وعاد الناخبون في حزيران واقترحوا عزل الأمير فالنشتين فوافق الإمبراطور، وفي ١٣ أيلول أبلغ ضباط الجيش بأن مكسيمليان أمير بافاريا قد حل في منصب القيادة العليا محل قائدهم وعاد الأمير فالنشتين في سلام إلى ضياعه في بوهيميا، وهو يعلم أن جوستاف أدولف قد دخل الأراضي الألمانية، وأن الإمبراطورية لابد أن تكون في حاجة إلى قائد[٣٥].

فضلاً عن ذلك كان للدور الفرنسي أثره في هذا العزل، عندما بذل رئيس الوزراء الفرنسي ريشيلو دوراً هاماً في إرسال ممثله بيير جوزيف إلى ألمانيا، والذي اخذ يؤدي دوراً خطيراً في السياسة الألمانية أثناء تلك المدة، من اجل التدخل والإسراع في عزل الأمير فالنشتين، وعلى الرغم من كون ريشيلو كاثوليكياً وكاردينالاً الا انه لم يتردد في تأييد القضية البروتستانتية في ألمانيا وذلك من اجل منع القوتين الاسبانية والنمساوية من النمو والتدخل في ألمانيا من جهة وحتى تتدخل القوة الفرنسية بدلاً عنها من جهة أخرى. إلى جانب ذلك عمل ريشيلو على إقحام ملك السويد جوستاف أدولف في النزاع داخل الإمبراطورية فضلاً عن تأليب أمراء جنوب ألمانيا ضد الإمبراطور نفسه، إذ حث ملك السويد على التدخل وتبني قضية البروتستانت في ألمانيا[٣٦].

لقد كان جوستاف أدولف ملك السويد من ابرز القادة الأوروبيين في القرن السابع عشر، لذلك قرر أن يجازف بخوض حرب ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة لأسباب عدة أهمها : تمسكه الشديد بالمذهب البروتستانتي، وتخوفه من غزو الإمبراطور المقدس لبلاده، فضلاً عن تطلعه للسيطرة على الساحل الشمالي لألمانيا ، وكذلك تحويل بحر البلطيق إلى بحيرة سويدية[٣٧].

الدور السويدي (١٦٣٠ – ١٦٣٥) :

تضافرت عوامل عديدة كانت وراء بروز هذا الدور من الحرب وهي على النحو الآتي:

١. أن مرسوم الإعادة احدث الكثير من الاضطرابات بين البروتستانت الذين وضعوا من قبل أيديهم على الكثير من الأملاك، لذلك اضطروا تحت ضغط الأمير فالنشتين إلى التخلي عنها بعد أن مضت عليهم سنوات طويلة وقد اعتادوا أن يعدوها أملاكهم الخاصة، بل أن الكاثوليك بدأوا يتذمرون عندما تبين لهم أن الإباء اليسوعيين اخذوا يتسربون إلى بيع ارض لم تطأها قدم يسوعي من قبل، وان مشروعاً يدبر بإشارة من الأمير فالنشتين يقضي بإنشاء إمارة من أربع أسقفيات غنية في شمال ألمانيا لتكون ملكاً وراثياً لأحد الأمراء.

٢. اخذ الألمان على حد السواء من الكاثوليك والبروتستانت يتساءلون عما يتربص بهم من سوء بسبب مكانة الأمير فالنشتين وسياسته إذ أن جيشه في جميع الأقاليم قد انتهك الكاثوليك والبروتستانت على حد السواء، الأمر الذي اوجد العديد من التساؤلات حول مصير هذا القائد وجيشه.

٣. أن مكسمليان صاحب بافاريا كان كاثوليكياً مخلصاً إلا انه لم يشارك في معركة التل الأبيض، كي يمهد السبيل لقائد بوهيمي يجعل الأمراء الألمان عند موطئ قدميه.

٤. لم تتوقف المشاكل على الرغم من أن الإمبراطور النمساوي كان يحاول تهدئة غضب البروتستانت في محاولة الوصول إلى اتفاق يرضيهم بشأن مرسوم إعادة الأملاك الكنسية، إلا أن البروتستانت لا يمكن أن يهدءوا أو يرضوا ما دام المرسوم ذاته مازال قائماً ومادام الحلف الكاثوليكي يحتفظ بجيشه وقوته.

٥. تجدد أمال البروتستانت عندما تدخل ملك السويد في الحرب بشكل جدي.

٦. كان لموقفي فرنسا وهولندا أثره في الحرب ولاسيما بعد أن أعلنت الدولتين تأيدها للسويد، إذ أن الفرنسيون كانوا من بين الدول التي أفزعت من نوايا الإمبراطور فرديناند الثاني، لذلك أرسلت الدبلوماسيين ليقوموا بمهمة تخليص ملك السويد من التورط في حرب مع هولندا من خلال تقديمها مساعده مالية سنوية قدرت بنحو مليون ليرة سويدية، مقابل بقاء القوات السويدية في ألمانيا والبالغ عددها نحو (٤٠) ألف جندي، كما أمدت هولندا بـ(٥٠) ألف فلورين هولندي شهرياً [٣٨].

٧. تحمس الملك جوستاف أدولف للقضية البروتستانتية عندما طلب بروتستانت ألمانيا منه مساعدتهم في قضيتهم ضد الكاثوليك، الذي سيطرت عليه أهداف عظيمة تمثلت في مصالح بلاده وعقيدته التي ورثها من أبائه، إذ كان يأمل أن يؤمن للسويد مكاناً متفوقاً من تجارة بحر البلطيق لا ينافسه فيه احد فضلاً عن تكوين درع واق من بولندا وروسيا من خلال الاستيلاء على شريط طويل من الساحل الجنوبي لبحر البلطيق، أما في سبيل القضية البروتستانتية في ألمانيا فقد كان يعمل على تحقيق نصر كبير لها على حساب الكاثوليك وتامين منطقة واسعة من أي اعتداء خارجي[٣٩].

٨. كانت السويد تهدف إلى السيطرة على بحر البلطيق من اجل تحسين اقتصادها فهي دولة صغيرة ومواردها محدودة[٤٠].

هذه العوامل كانت وراء اندلاع الحرب في مرحلتها الجديدة في الوقت الذي اجبر الأمير فالنشتين على التنحي عن قيادة الجيش الإمبراطوري، لذلك نزل ملك السويد بجيشه المؤلف من (١٥٠) ألف جندي في ألمانيا بجزيرة اوزدم "**Usedom**" في حزيران ١٦٣٠م، ومنها انتقل إلى شاطئ بوميرانيا إذ كانت خطته تهدف إلى جمع الأمراء البروتستانت لمؤازرته ومن ثم وجه أليهم منشوراً يطلب منهم الانضمام إليه في تأييد القضية البروتستانتية، لتبدأ مفاوضات طويلة ظهر في إثناءها أن هؤلاء الأمراء لا يرتاحون لمسألة تسليم بلدهم إلى أجنبي إلا أن تدخل فرنسا في المسألة ساعد على توصل إلى اتفاق نهائي في المسألة من خلال تأييد هؤلاء الأمراء لملك السويد[٤١].

كان الجيش السويدي واحداً من ابرز الجيوش في القارة الأوروبية أثناء تلك المدة إذ اعتمد في تكوينه على عناصر مرتزقة من الاسكتلنديين المعروفين بالشدة والقوة وذوي ملابس خاصة مقسمين مابين فرقة للمشاة وفرقة أخرى للفرسان، وقبل أبرام المعاهدة مع فرنسا تمكن جوستاف أدولف من الوصول إلى جنوب بحر البلطيق ووطد أقدامه في كل من بروسيا الشرقية وبولندا الغربية، وقد كان جوستاف يأمل في شن حرب ضد ألمانيا وتقليص نفوذ الإمبراطور فرديناند الثاني هنالك، ولاسيما بعد أن بدأت علامات الأعداء واضحة بين الطرفين إذ أن الإمبراطور كان يتمسك بمقولة أن عرش السويد من حق (سجسمند) "**Sigsmund**" الكاثوليكي من أسرة فازا "**Vasa**" والذي حكم في بولندا، لذلك كان يرفض الاعتراف بجوستاف ملكاً على السويد، فضلاً عن ذلك كان وراء هذا الرفض أهداف أخرى تمثلت في أعادة العقيدة الكاثوليكية إلى السويد عن طرق ملك بولندا، لذلك قرر ملك السويد جوستاف أدولف أن الوقت قد حان للضرب بالقوة والشدة في سبيل السويد والعقيدة البروتستانتية – وان عدوه الإمبراطور فرديناند الثاني وفق ثلاث اعتبارات مهمة تمثلت في صداقته لبولندا وبصفته حامياً للكنسية الرومانية ومنافساً مباشراً لملك السويد في فرض سلطانهم على بحر البلطيق– وعلى الرغم من وقوف ألمانيا بأسرها إلى جانب الإمبراطور، فان الملك جوستاف تمكن من شن حرباً سريعة وناجحة في شمال ألمانيا وحقق انتصارا على قوات الجنرال تللي في برتنفيلد "**Breitenfeld**" في ١٧ أيلول ١٦٣١م، وتقدمت قواته نحو براج شرقاً ومينز "**Mainz**" وفرمز "**Worms**" غرباً، كما تمكن من هزيمة الجنرال تللي في ليك "**Lech**" وبذلك تمكن جوستاف من دخول ميونخ ليبسط سيطرته عليها لمدة عامين تمكن من خلالها من تحويل حظوظ العقائد المتنازع عليها تحويلاً جذرياً، إلا أن هذه الانتصارات والتحول الكبير في العقيدة لم يستمرا طويلاً إذ لم يكن من المتوقع أن يرضى الألمان عن جيش أجنبي يعيش على خيرات البلاد إذ أثارتهم عمليات السلب المنظم التي قام بهام الجنود السويديون.

في هذه الأثناء أعد الأمير فالنشتين جيش إمبراطوري كبير وأصبح قائده، تمكن في البدء من طرد السكسونيين من بوهيميا، بعد ذلك اتحدت هذه القوات مع قوات مكسمليان إذ أصبح عددها ما يقارب نحو (٦٠) ألف رجلاً، وفي نورمبرج "**Nuremberg**" تمكنت قوات الأمير فالنشتين من تحقيق أول انتصار على قوات الملك جوستاف، إلا أن القوات السويدية سرعان ما تمكنت من تحقيق الانتصار في معركة لوتزن "**Lutzen**" في ١٦ تشرين الثاني ١٦٣٢م، وعلى الرغم من هذا الانتصار فأن ملك السويد جوستاف أدولف قد سقط قتيلاً في ارض المعركة وبدون علم من قواته، وكانت أخر كلمات قالها قبل موته وهو مثخن بالجراح "**أنا ملك السويد الذي يوقع على عقيدة الشعب الألماني وحريته بدمه**"[٤٢].

واصلت السويد بعد وفاة ملكها المعارك مع قوات الجيش الإمبراطوري، وقد تولى قيادة الجيش السويدي الوصي على العرش – وذلك لان أبنت جوستاف أدولف مازالت صغيرة – (اكسنستيرنا) "**Oxenstierna**" الذي قرر أن تحتفظ السويد بالزعامة على ألمانيا البروتستانتية، وبفضل هذا

المستشار وضباط الجيش السويدي فضلاً عن الفرانكونيين "**Franconian**" والسوابيين "**Swabian**" تمكن الجيش السويدي من الصمود على أمل الحصول على ضمان لعقد صلح موفق للسويد والقضية البروتستانتية، وقد كان الأمير فالنشتين يفكر في خطة لتسوية المسألة الألمانية، في حين أن المجلس اليسوعي في فيينا كان محل شكوك نتيجة للأعمال التي قام بها القائد البوهيمي عقب الانتصار في موقعة لوتزن، إلا انه لم يستغل هذه النتائج لصالحه وظل مقيماً في مدينة كسل ببوهيميا إذ كان يرغب في تحقيق سلام عام في ألمانيا لا يقوم إلا عن طريق فرض نفوذه وحده، على الرغم من أن هذا الصلح لم يكن صلحاً يسوعياً بقدر من كونه صلحاً بوهيمياً مبنياً على التسامح إلى حد لا يرضى عنه الآباء اليسوعيين، لذلك ظهرت فكرة قتل الأمير فالنشتين وقد كان فرسان الدراغون الايرلنديين في معسكرهم في ياجر "**Eger**" على استعداد لاغتياله.

صدرت عروض الصلح منذ بداية الحرب إلا أن قتال اللوثريين كان ضعيف في ضوء الانتصارات السويدية وعلى ذلك عندما انتصر الجنرال برنارد "**Bernard**" صاحب ساكس فيمار "**Saxe Weimar**" وهورن "**Horn**" – القائدان اللذان آل إليهما ارث جوستاف– وفي معركة نوردلنجن "**Nordingen**" الحاسمة انتقل كل الجزء الجنوبي الغربي من ألمانيا بضربة واحدة من السيطرة السويدية إلى سيطرة الإمبراطورية، ولم يكن صلح براج "**Prague**" عام ١٦٣٢م عملية حقيقية وذلك لان اللوثريين لم يساندوا حلفائهم السويديين فحسب بل تعدوا بمساعدة النمسا على طردهم من ألمانيا، وبذلك فان صلح براج الذي قد اعترف به تقريباً في نهاية عام ١٦٣٥م قد جمع الأمراء والمدن الحرة في ألمانيا على تسوية طيبة وحكيمة بقدر ما سمح به الموقف عندئذ، إذ حصل الموقعون البروتستانت على ضمان أسلوبهم في العبادة وعلى استيفاء الأراضي والإيرادات التي كانوا قد أخذوها من الكنيسة الرومانية مدة خمسين عام[٤٣].

نتجت عن هزيمة نوردلنجن خروج سكسونيا من الحرب وعقدت صلحاً منفرداً من الإمبراطور فرديناند الثاني في أيار ١٦٣٥م، وقد حذت الولايات البروتستانتية الألمانية الأخرى حذوها في سحب تأييدها للتدخل السويدي، وفي المقابل عمل الإمبراطور على إلغاء معظم بنود مرسوم الإعادة لتهدئة البروتستانت وتامين حياتهم الاقتصادية، وهكذا تخلى الألمان البروتستانت عن مساعدة من ساعدهم وبذلك تهيأت الأجواء للتقارب بين الولايات الألمانية حتى بدت الحروب الدينية الداخلية على وشك الانتهاء، إلا أن موقف فرنسا أبقى حرب الثلاثين عاماً مشتعلة وتحول الموقف الفرنسي من موقف سلبي عن طريق تقديم المساعدات المالية إلى موقف ايجابي عن طريق المشاركة والتدخل الفعلي في الحرب ولاسيما بعد أن لبت فرنسا وعلى رأسها رشيليو الطلب المقدم من قبل وصي عرش السويد[٤٤].

لذلك سعى ريشيلو إلى تدمير اسبانيا والنمسا دون إضعاف القضية الكاثوليكية ومن هنا جاء تردده ومراوغته في السياسة التي انتهجها خلال العوام الأولى من حرب الثلاثين عام، إذ مزقت هذه الأعوام

ألمانيا، لذلك عقد معاهدته السرية مع وصي عرش السويد من اجل تقديم الدعم اللازم لقواته[٤٥]. فضلاً عن ذلك كان الاعتقاد لدى ريشيلو أن من مصلحة فرنسا الحد من قوة النمسا، وان هذا التحالف سيحقق لفرنسا ما تصبوا أليه، من خلال تقديم المال والرجال للوصي، وعلى المنوال ذاته شن الحرب ضد إسبانيا[٤٦].

الدور الفرنسي – السويدي (١٦٣٥– ١٦٤٨):

بعد أن كانت فرنسا تكتفي بمد يد المساعدة المالية للسويد قرر ريشيلو أن يرسل إلى ميدان المعركة جيشاً فرنسياً لمهاجمة الإمبراطورية من الجهة الغربية وفي الوقت ذاته أعلن الحرب على اسبانيا التي كان يحكمها الفرع الثاني لأسرة هابسبرغ، وهكذا دخلت حرب الثلاثين عام في دورها الأخير والحاسم، يشترك فيها الفرنسيون إلى جانب السويديين على الأراضي الألمانية، وبذلك لم يعد الخلاف الديني أو المذهبي هو المحرك للحرب فقد كان غزاة ألمانيا هذه المرة يتألفون من كلا المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي، وعلى الرغم من كون ريشيلو كان كاردينالاً كاثوليكياً تابعاً للكنيسة الرومانية إلا انه بدوافع سياسية اظهر نواياه علانية في الحرب إلى جانب البروتستانت الألمان لذلك أصبحت الحرب ذات طابع دولي وذات أبعاد سياسية بعيدة، حاول ريشيلو أثناءها أن يضم إلى جانبه جميع أعداء أسرة هابسبرغ ممن يستطيعون تقديم العون الحربي، ولاسيما ضد الفرع الاسباني العدو الأول لفرنسا وكان هدفه الأول إضعاف سيطرة اسبانيا على الأراضي المنخفضة الاسبانية لان الوجود الاسباني في تلك البلاد يعد تهديداً دائماً للعاصمة الفرنسية، فضلاً عن ذلك دخل في عام ١٦٣٥م في تحالف من الهولنديين الثائرين الذين جددوا حرب الاستقلال بعد انتهاء هدنة الاثنى عشر عاماً، وبالتالي كانت حرب الثلاثين عاماً في مرحلتها الأخيرة والحاسمة صراعاً على السيادة بين آل بروبون وال هابسبرغ بفرعيهم الألماني والاسباني[٤٧].

وضعت خطة للهجوم المشترك السويدي والفرنسي بحيث لا يكون هذا الهجوم للقوات مشتركاً وفي ذات الاتجاه بل أن تهاجم القوات السويدية من بحر البلطيق باتجاه قلب ألمانيا من اجل تطويق قوات الإمبراطور وتشتيت قواته العسكرية، إلا أن هذه الخطة فشلت على الرغم من أن الإمبراطور كان يحارب بجيشه وبدون مساعدة من الشعب الألماني إذ انه استطاع من إنزال هزيمة بالجيش السويدي ومن ثم بالجيش الفرنسي في عام ١٦٣٦م واجبر كلا منهما على الارتداد إلى بلاده لذلك وجد الإمبراطور أن من الأسلم تهديد فرنسا في عقر دارها لذلك توغلت قوات الإمبراطور في فرنسا وهددت العاصمة الفرنسية باريس، في هذه الأثناء استطاع السويديون من استعادة قواهم وانتصر على قوات الإمبراطور في ويتستوك "**Wittstock**"، في تشرين الأول ١٦٣٦م، وكان لهذا الانتصار أثره الفعال إذ نشطت القوات الفرنسية وقامت بطرد قوات الإمبراطور في الوقت الذي كانت فيه السويد تحقق انتصاراتها في ألمانيا واستطاعت الاستيلاء على براندبرج وسكسونيا وبوميرانيا وتورنيجيا وجزء من فرنكونيا، لذلك حاول البابا اريان الثامن

التدخل لعقد الصلح إلا أن محاولته باءت بالفشل، وفي وسط تلك الأحداث توفي الإمبراطور فرديناند الثاني عام ١٦٣٧م وخلفه في الحكم ابنه فرديناند الثالث[٤٨]"**Ferdinand III**"، الذي كان يختلف عن أبيه في الكثير من الخصال ولاسيما في الجانب العسكري والدبلوماسي، استغل الفرنسيون ذلك واستولوا على الالزاس لذلك حاول الإمبراطور الجديد طلب الصلح في عام ١٦٤٠م إلا انه لم يلق أي قبول، اذ تمكن السويديون من القيام بسلسلة من الانتصارات ضد قوات الإمبراطور وزحفوا في الأراضي الألمانية حتى أصبحوا على مقربة من فيينا.

وسط هذه النجاحات المتكررة للقوات المشتركة السويدية – الفرنسية توفى الوزير رشيليو، وقد خلفه في رئاسة الوزراء مازران الذي أكد على ضرورة مواصلة الطريق الذي بدأه ريشيلو من قبل، لذ تمكنت القوات الفرنسية من الانتصار على القوات الاسبانية عام ١٦٤٣م واستولت على نيونفيل، وفي عام ١٦٤٥م استولت على فرايبورج ومن ثم على نوردلنجن، وفي العام ذاته زحف السويديون على بوهيميا، واتحدت القوات الفرنسية والسويدية بعد ذلك في عام ١٦٤٦م وأصبح جيشاً مشتركاً تمكن من تدمير بافاريا والانتصار على القائد البافاري مكسمليان عام ١٦٤٨م، وعلى العموم فبعد هذه الانتصارات والحرب الطويلة كان التعب قد ظهر على الدول المنتصرة كما شعر الإمبراطور فرديناند الثالث انه لا طاقة له في الاستمرار في الحرب الذي أحجم شعبه عن مساعدته، لذلك عملت جميع الأطراف على فتح باب المفاوضات الذي انتهى في نهاية المطاف على توقيع صلح وستفاليا في ٢٤ تشرين الأول ١٦٤٨م والذي أنهى حرب الثلاثين عام[٤٩]. عدت هذه المعاهدة بداية للتخلي عن النظام الإقطاعي وكذلك التخلي عن أسطورة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وأحلت محل ذلك النظام نظام الدولة الوطنية التي تملك السيادة على أراضيها[٥٠].

وعلى هذا الأساس كان من الصعب جداً إيجاد قاسم مشترك بين حرب الثلاثين عام والحروبَ الأخرى التي شهدتها أوروبا في النصف الاولِ مِنْ القرن السابع عشرِ. إذ أن ما أفرزته من نتائج سياسية أو اجتماعية أو ثقافية سواء على صعيد الدول المتحاربة أو الدول الأوروبية عموماً، كانت له أثاره من حيث إعادة رسم الخارطة الأوروبية من جديد، ولتبدأ مرحلة من العلاقات الدبلوماسية بين الدول الأوروبية التي ألقت وراء أكتافها مرحلة من الصراعات الدينية المتكررة كانت حرب الثلاثين عام حداً فاصلاً لتلك الصراعات[٥١]. وبذلك تكون الانتصارات الفرنسية – السويدية العامل الابرز في حسم الصراع، ولتدخل الدول المتنازعة في مرحلة المفاوضات التي انتهت بصلح ويستفاليا .

معاهدة ويستفاليا :

ابتدأت محادثات الصلح في ويستفاليا عام ١٦٤٨م في مدينتي مونستر واسنابروك إذ كانت الولايات الألمانية تطالب بالصلح، وبإيجاد تسوية دينية نهائية وإصلاح الإمبراطورية الرومانية المقدسة، في حين

أصرت فرنسا والسويد على أن تشترك الولايات الألمانية في المفاوضات على انفراد لتفتيت القوى، وهو مبدأ رحب به الأمراء الألمان بحماس ولكن الإمبراطور قاومها من غير جدوى. وقد تدفق بسبب ذلك مئات الدبلوماسيين والمفاوضين على ويستفاليا ممثلين عن أنحاء الإمبراطورية[٥٢].

كان صلح وستيفاليا يمثل خطة عامة للقضاء على حركة مقاومة الإصلاح الديني في ألمانيا، فلم يكتف بالتأكيد على شروط صلح اوغسبرغ من جديد فقط، وهي منح كل ولاية ألمانية الحق في تعين الديانة التي يريدها، ولكنه أضاف الديانة الكلفنية إلى الديانتين اللوثرية والكاثوليكية واعترف بها دينً ثالثاً، وقد انتصر البروتستانت انتصاراً كاملاً بالنسبة إلى نقطة الخلاف حول علمنة المقاطعات التابعة للكنيسة[٥٣].

وضعت معاهدة ويستفاليا حداً للفوضى في أوروبا، إذ كانت أوروبا قد تحولت إلى خرائب ويقدر المؤرخون أن ثمانية ملايين شخصاً هلكوا في هذه الحروب فضلاً عن (٣٥٠) ألف جريحاً، وفي قسم واحد من أقسام مقاطعة تورانج **"Thuringe"** لم يبق من أصل (١١١٧) منزلاً تؤلف (١٩) قرية ألا (٦٢٧) منزلاً، وفي بوهيميا لم يبق سوى (٦٠٠٠) قرية صالحة للسكن من أصل (٣٥) ألف قرية، وهبط عدد السكان من مليوني مواطن إلى (٧٠٠) ألف مواطن، وخلال الحرب لم يكن أكل اللحوم البشرية مجهولاً وقد سيطر على المواطنين الأيمان بالخرافات وممارسة السحر إلى حد وصل عدد المحترفين بالسحر إلى ألف شخص وذلك مابين عامي (١٦٤٠-١٦٤١)[٥٤].

كانت وحشية هذه الحرب هي التي أبرزت التناقض فيما بينهما وبين الممارسة الأكثر إنسانية للحرب في ايطاليا خلال القرن الخامس عشر، ففي فلورنسا وميلانو وفي غيرها من الأقاليم كان الحكام المستبدون المحليون يعتمدون في حروب الأحزاب والفئات الممزقة على المرتزقة المهتمين لصناعة الحرب والمتمرسين فيها والتي كان يستأجرهم، وكان هؤلاء الجنود لا يقاتلون ألا بغرض الكسب المادي وكانوا يستطيعون بيع خدماتهم في سنة من السنين لأمير ثم يبيعونها في العام التالي لخصمه الذي كان يحاربه، وكانت الحرب بالنسبة إليهم حرفة وفناً في الوقت ذاته[٥٥].

وبالتالي كانت معاهدة ويستفاليا التي أنهت حرب الثلاثون عام في الحقيقة معاهدتين: وقعت الأولى في مدينةِ ميونستر **"Münster"** الواقعة غرب ألمانيا، بين إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة وملك فرنسا فضلاً عن حضور حلفاء كلا الطرفين، والثانية وقّعَت في مدينة اسنابروك **"Osnabrück"** الواقعة شمال غرب ألمانيا، بين الإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة وملكِ السويد فضلاً عن حضور حلفاء كلا الطرفين، وقد أنهت هاتين المعاهدتين النزعات والخصومات الدينية والذي أبقى أوروبا في حالة حرب لمدة ثلاثين عام[٥٦].

ونتيجة المفاوضات تم الاتفاق على الشروط النهائية للمعاهدة والتي يمكن إجمالها بالاتي:

١- لابد أن يكون هناك سلام نصراني وعالمي دائم، وصداقة مخلصة، بين فخامة إمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ، وبين جميع الحلفاءِ الذين شاركوا في الحرب.

٢- تستولي فرنسا على الالزاس وأعالي الراين، وتحتفظ بـ(هتز وتول وفردان) وهي المناطق التي سبق أن استولت عليها خلال الحرب .

٣- تستولي السويد على النصف الغربي من بوميرانيا وبعض الأسقفيات وتتحكم بمصبات الأنهار في الإمبراطورية .

٤- يتم ألحاق بوميرانيا الشرقية ومجدبرغ، وعدة أسقفيات بإمارة براندبرغ وتنتقل زعامة البروتستانت من أمير سكسونيا إلى أمير براندبرغ .

٥- يعترف الإمبراطور المقدس باستقلال هولندا وسويسرا .

٦- يسمح لأتباع لوثر وكالفن بالحرية الدينية الكاملة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

٧- يتعهد إمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ بالتقيد بنصوص معاهدة اغزبرغ، والتي تسمح بممارسة الحريات الدينية لجميع الطوائف النصرانية [٥٧].

٨- أعادة الولاء والطاعة من قبل جميع الناخبين وأمراءِ لإمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ .

٩- تعهدت جميع الدول في حالة حدوث أيّ نزاع في المستقبل عدم تقديم أي مساعدة لأطراف النزاع

١٠- طبقاً لمعاهدة الصداقةِ المتبادلةِ بين جميع الأطراف تقرر إصدار عفو عامّ [٥٨].

ويمكن القول أن ابرز نتائج معاهدة وستيفاليا تتمثل في إنها أدت إلى تفكيك الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومن ثم تحويلها إلى اتحاد هش بين دول ضعيفة ولم يعد ثمة سلطة مركزية للإمبراطور تسمح له بسن القوانين، أو فرض الضرائب على الدول الأوروبية أو تشكيل الجيوش منها، وتبعاً لذلك فأن صلح وستيفاليا يمثل نهاية عصر الإصلاح الديني والحروب التي ترتبت عليه، وأصبح محتماً على المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي أن يتعايشا في ظل التسامح الديني وممارسة الحريات الدينية للطوائف النصرانية المختلفة[٥٩].

كذلك فإن النتيجة على ارض الواقع كانت واضحة بأن الحرب انتهت لصالح فرنسا والسويد، أما بالنسبة لألمانيا فأنها مأساة فظيعة من دمار وقتلى، لم تتعافى منها إلا بعد وقت طويل[٦٠] . والحقيقة أن هذه الحرب قد مزقت أوروبا وأنهكت اقتصادها فتعد أسوأ حرب دينية عرفتها القارة، كما إنها تعد نتيجة حتمية لحركة الإصلاح الديني وما نتج عنها من انقسام أوروبا إلى معسكرين فهي لم تكن حرباً محلية بل كانت حرباً أوروبية اشتركت فيها دول أوربية كثيرة من اجل تحقيق أطماع وأهداف مختلفة[٦١].

كما أن معاهدة ويستفاليا عدت المعاهدة الأولى في التاريخ الحديث التي شكلت القانون الدولي الحديث والخاص في مسألة سيادة الأرض وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول من قبل دولة أخرى، والتي عدت من المخالفات الأولى للقانونِ الدوليِ، الأمر الذي أدى إلى ظهور بداية جديدة للعديد مِنْ الولاياتِ ذات السيادةِ في أوروبا، فضلاً عن ذلك حاولت المعاهدة تَنظيم مجالاتِ الحياةِ الاجتماعية والسياسية للدول الأوروبية. بإنهاء تلك الحرب وفق سيادة القانون الدولي الذي أفرزته تلك المعاهدة والاعتماد على عاملي الدين والأخلاق [٦٢].

الخـــاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١. كان لصلح اوغسبرغ الأثر البليغ في قيام حرب الثلاثين عام، إذ جاءت بنوده بصورة لم تحضى برضى جميع الأطراف لذلك استمرت الخلافات، بل تعمقت فيما بعد وكانت مدعاة لقيام حرب كبرى على الأراضي الأوروبية .

٢. يمكن القول أن البند الديني الذي سمح لكل دولة أو طرف في اختيار مذهبة كان بحق الشرارة التي أججت نار الحرب من جديد، عليه يمكن أن نطلق على هذا الصلح بالفشل.

٣. يمكن القول أن حرب الثلاثين عام تعد حرباً دينية بامتياز فقد كان العامل الديني المحور الرئيس في قيام تلك الحرب، على الرغم من استغلاله في كثير من الاحيان في توحيد جهة ضد أخرى .

٤. لم تكن بعض أطراف الحرب تشارك بقناعة مع أي جهة إذ نراها تتنقل بين تلك الأطراف المتنازعة حسب مصلحتها الخاصة وحسب ما تقدمه تلك الجهة، وبهذا اكبر دليل على أن الدافع الديني كان مجرد ستار أخذه البعض واستفاد منه سياسياً، ولم يدفع ثمن تلك الحرب سوى المواطن البسيط الذي ذهب ضحيتها وهو مؤمن انه يدافع عن مذهبه .

٥. التحول في ميادين الصراع أثناء حرب الثلاثين عام لتشمل أجزاء كبيرة من دول أوروبا، والتي تشكل في معظمها الدول التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة .

٦. شكلت الحرب بداية لنهاية الحروب الدينية، والتي بدأت منذ حركة الإصلاح الديني في أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر.

٧. عدت الحرب بداية لما يعرف بالعمل الدبلوماسي لحل المشاكل التي ظهرت بين الدول التي شاركت في الحرب.

٨. التحول الكبير الذي شهدته الحرب وذلك تبعاً للمصالح المعنية لكل دولة، فبعد أن كان الصراع ديني مذهبي تحول إلى صراع سياسي ذو نزعة إقليمية تبعاً للمصالح أو رغبة في الحصول على مكسب إقليمي.

٩. التغير الذي شهدته معارك الحرب نتيجة للوشاية الداخلية بين القادة العسكريين الأمر الذي جعل المعسكر الكاثوليكي يخسر ابرز قادته نتيجة لتلك الوشاية.

١٠. شهد صلح ويستفاليا الذي وضع حداً لنهاية الحرب حضور أوروبي، واسع وذلك من اجل حل تلك المشاكل التي أفرزتها الحرب، ووضع الأسس التي استندت عليها الدول في تعاملها مع جيرانها من الدول .

١١. عد صلح ويستفاليا البداية الأولى لنشوء ما يعرف بالقانون الدولي الذي سعى لإيجاد حلول للمشاكل التي تواجه العالم وكان الصلح الخطوة الأولى في هذا المجال .

الهوامش:

(١) بادي شغلين، قصة العالم الحديث والمعاصر، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٤٥.

(٢) عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل احمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط٣، الرياض، دار المريخ، ١٩٩٣، ص١١٤-١١٥.

(٣) روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، مترجم مجهول ، د. م ، د. ت ، ج١، ص ٢٢١.

(٤) جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة : علي المرزوقي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٦-١١٧.

(6) Benjamin Straumann, The Peace of Westphalia as a Secular Constitution, Oxford, Volume 15, No 2, 2008, P.3 .

(٧) آل هابسبورغ : العائلة الحاكمة في النمسا من سلالة الكونت ألماني الأصل رودولف هابسبرغ إمبراطور روما المقدس (١٢٧٣- ١٢٧٩)، الذي انعم عام ١٢٨٢م بدوقية النمسا إلى ابنه البرفت، انقرض سلسلة النسب من الذكور عام ١٧٤٠ عندما خلفت ماريا تيريزا والدها الإمبراطور شارل السادس على العرش، حكمت هذه السلالة النمسا حتى عام ١٩١٨ بعد نفي الإمبراطور عنها . للمزيد من التفاصيل انظر: الآن بالمر، موسوعة التأريخ الحديث (١٧٨٩ – ١٩٤٥)، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٢، ج١، ص٣٥١.

(٨) جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ج٢، د.ت، ص١٧-١٨ .

(9) H.M. Pabel, State and Society Early Modern Europe : The Thirty years War, 2011, P.1.

(10) Benjamin Straumann, OP. Cit., PP. 3 - 4 .

(١١) ماتياس (١٥٥٧- ١٦١٩)، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة منذ عام ١٦١٢، اتبع عكس السياسةِ التي انتهجها أبيه ماكسيمليان الثّاني، والتي أدت إلى اندلاع حرب الثلاثين عام. للمزيد من التفاصيل انظر: The New Encyclopaedia Britannica, U.S.A, 1981, Vol – VI, P. 698.

(١٢) رودولف الثاني (١٥٥٢– ١٦١٢) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأرشيدوق النمسا (١٥٧٦ – ١٦١٢)، تولى الحكم خلفاً لأبيه ماكسيمليان الثاني بن فرديناند الأول . للمزيد من التفاصيل انظر:
Encyclopaedia Britannica Library, DVD, 2009.

(١٣) فرديناند الثاني (١٥٧٨– ١٦٣٧) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة للمدة (١٦١٩– ١٦٣٧) تزامن حكمه مع حرب الثلاثين عاماً . للمزيد من التفاصيل انظر:
Encyclopaedia Britannica Library, DVD, 2009.

(١٤) نور الدين حاطوم، تاريخ القرن السابع عشر في أوربة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦، ص٤٧–٤٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص٤٨–٤٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص٤٩–٥٠.

(١٧) فريدريك الخامس (١٥٩٦– ١٦٣٢) ملك بوهيميا (١٦١٩– ١٦٢٠)، لقب بملك الشتاء نظراً لعهده القصير خلف فريدريك الخامس والد كأمير ناخب لبلاتينات في الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام ١٦١٠، كان عضواً بارزاً في رابطة الاتحاد البروتستانتية، وهي منظمة أسسها والده لحماية البروتستانت في الإمبراطورية الرومانية المقدسة. للمزيد من التفاصيل انظر:
Encyclopaedia Britannica Library, DVD, 2009.

(١٨) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث (من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥، ص١٤٦–١٤٧.

(١٩) ميلاد المقرحي ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية ، ط ٢، بنغازي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، ١٩٩٥ ، ص ٧١–٧٢ .

(٢٠) يوهان تسيركلايس (١٥٥٩– ١٦٣٢) قائد قوات الإتحاد الكاثوليكي في حرب الثلاثون عام. للمزيد من التفاصيل انظر: Microsoft Encarta Premium, DVD, 2009.

(٢١) ماكسيمليان الأول (١٥٧٣– ١٦٥١) دوق بوهيميا منذ عام ١٥٩٧، قائد الاتحاد الكاثوليكي أثناء حرب الثلاثون عام، تولى العرش بعد تنازل أبيه، يعود أليه الفضل في تشكيل الإتحادَ الكاثوليكيَ. للمزيد من التفاصيل انظر: The New Encyclopaedia Britannica, OP. Cit., Vol – VI, P. 714.

(٢٢) ول وايريل ديوارنت، قصة الحضارة (بداية عصر العقل)، ترجمة: محمد علي أبو درة وعلي ادهم، بيروت، دار الجيل، د.ت، ج٣، مج٧، ص١٩٧– ١٩٨.

(٢٣) البابا أوربان الثامن (١٥٦٨– ١٦٤٤) بابا الكنيسة الكاثوليكية، يعد آخر الباباوات الذين قاموا بتوسيع الأملاك البابوية بقوة السلاح، كما كان من رعاة الفن البارزين وقام بإصلاح إرساليات الكنيسة، شهد عصره خلافات كبيرة وواسعة مع غاليليو ونظريته . للمزيد من التفاصيل انظر:
Microsoft Encarta Premium, DVD, 2009.

(٢٤) أرماند جان دو ريشيليو، (الكاردينال ريشيليو) (١٥٨٥– ١٦٤٢) رجل دولة ودين فرنسي كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر، أصبح كاردينالاً عام ١٦٢٢، درس في جامعة السوربون، يعود أليه الفضل في تأسيس أكاديمية اللغة الفرنسية. للمزيد من التفاصيل انظر:

Encyclopaedia Britannica Library, DVD, 2009.

(٢٥) كريستيان الرابع (١٥٧٧– ١٦٤٨) ملك الدنمارك منذ عام ١٥٨٨ ولغاية وفاته، إذ خلف والده فريدريك الثاني ملكاً عليها، شاركت قواته البروتستانت في الحروب ضد الكاثوليك في ألمانيا خلال حرب الثلاثين عام. للمزيد من التفاصيل انظر: Encyclopaedia Britannica Library, DVD, 2009.

(٢٦) ول وايريل ديوارنت، المصدر السابق، ج٣، مج٧، ص ١٩٨.

(٢٧) بادي شغلين ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢٨) زينب عصمت رشيد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ج١، ص٢٥٦–٢٥٧.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

(٢٠) كراف ارنست فون مانسفيلد (١٥٨٠– ١٦٢٦) قائد عسكري ألماني أثناء السَنَواتِ الأولى مِنْ حرب الثلاثون عام . للمزيد من التفاصيل انظر:

The New Encyclopaedia Britannica, OP. Cit., Vol – VI, P. 577.

(٣١) ول وايريل ديوارنت، المصدر السابق، ج٣، مج٧، ص ١٩٨.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٣٣) صلاح احمد هريدي وآخرون، تاريخ أوربا الحديث، كفر الدوار(مصر)، مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٨، ص٢٦٣–٢٦٤.

(٣٤) ول وايريل ديوارنت، المصدر السابق، ج٣، مج٧، ص ١٩٩.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(٣٦) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص٢٤٨.

(٣٧) بادي شغلين ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٣٨) صلاح احمد هريدي وآخرون، المصدر السابق، ص٢٦٤–٢٦٦.

(٣٩) هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث (من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية)، ترجمة: زينب عصمت رشيد واحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: احمد عزت عبد الكريم، ط٣، مصر، دار المعارف، ١٩٦١، ص٢٤٥– ٢٤٦.

(٤٠) ميلاد المقرحي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٤١) صلاح احمد هريدي وآخرون، المصدر السابق، ص٢٦٦.

(٤٢) هربرت فيشر، المصدر السابق، ص٢٤٦–٢٤٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٩– ٢٥٠.

(٤٤) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص١٥٢.

(45) Albert Guerard, France A Modern History, London,1959, P. 168.

(46) Thomas E. Watson, The Story of France (From The Earliest Times to The Consulate of Napoleon Bonaparte), New York, 1899, Vol . I, P. 501.

(٤٧) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، المصدر السابق، ص١٥٢.

(٤٨) فرديناند الثّالث (١٦٠٨ – ١٦٥٧) الابن الأكبر سناً للإمبراطورِ فرديناند الثّاني، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة منذ عام ١٦٣٧ وحتى وفاته، فضلاً عن كونه ملكِ هنغاريا وكرواتيا وبوهيميا وأرشيدوق النمسا، قادة المرحلة الأخيرة من حرب الثلاثين عام وحتى توقيع معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨. للمزيد من التفاصيل انظر: The New Encyclopaedia Britannica, OP. Cit., Vol – IV, P. 98.

(٤٩) عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأول، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ١٩٩٠، ص١٥٤-١٥٥.

(٥٠) رالف م. غولدمان ، من الحرب إلى سياسة الأحزاب التحول الحرج إلى السيطرة المدنية ، ترجمة : فخري صالح ، عمان ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ،١٩٩٦ ،ص٢٣٤ .

(51) Peter . H. Wilson , Europe's Tragedy: A History of the Thirty Years War , London, 2009, P.82.

(٥٢) روبرت بالمر، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٥٤) ج . ف. س. فوللر، أدارة الحرب، ترجمة : أكرم ديري، بيروت، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٣، ص١٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٤ .

(٥٦) شبكة المعلومات الدولة الانترنيت: وجدت بتاريخ ١٠ / ١٠ / ٢٠١٣، على الموقع الأتي:
WWW.Tufts.edu/ departments/ Historical/ Westphalia.

(٥٧) بادي شغلين، المصدر السابق، ص ٥٠ .

(58) Treaty of Westphalia, October 24 1648, Peace Treaty between the Holy Roman Emperor and the King of France and their respective Allies, D.N, PP . 1-15.

(٥٩) بادي شغلين، المصدر السابق، ص ٥٠ .

(٦٠) جان كلود بارو وغيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا ،ترجمة : مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، دبي، دار الفارابي، ٢٠٠٨ ، ص١٤٦ .

(٦١) ميلاد المقرحي، المصدر السابق، ص٦٩.

(62) Daud Hassan, The Rise of the Territorial State and The Treaty Of Westphalia, University of Technology, Sydney, Vol – 9, 2006, P.63- 69.